تمهيد

يجد القارئ المعاصر المتطلع إلى التعرف على القرآن وفرة من الكتب والدراسات. وثمة مصنفات أكثر من هذا النوع متاحة باللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات، فضلًا عن دراسات كثيرة عن الإسلام والنبي محمد التي تتناول القرآن الكريم. وتحظى المؤلفات التمهيدية والدراسات المتخصصة في القرآن بإقبالٍ كبيرٍ في عصرنا الحاضر، ويُقدِّم كل منها منهجه المتفرد أو رؤيته الخاصة في تناول مضمون القرآن وشكله وتاريخه، فضلًا عن تداوله وتوظيفه على مدى ما يربو على أربعة عشر قرنًا من تاريخ الدين والأمة الإسلامية.

يسير هذا الكتاب، في جانب منه، على نهج المحاولات التمهيدية لهذه المؤلفات في مجملها، غير أنّه يولي عناية خاصة لتحليل النتاج النقدي والأكاديمي الغربي عن الدراسات القرآنية. ومن ثَمَّ، فإن قارئه المنشود هو العالِم أو الباحث أو الطالب صاحب المعرفة السابقة بالقرآن الكريم، ويتطلع إلى أداة تعينه على سبر أغوار النتاج العلمي الوافر والمتواصل الذي تميزت به العقود الثلاثة الأخيرة من الدراسات القرآنية. وقلما يدخل هذا النتاج العلمي في حوار مع المصنفات والتحليلات التي لا حصر لها، والتي تأتي من العالم الإسلامي؛ بل يعكس في الغالب الحراك البحثي الداخلي في الغرب، الذي يشهد مشاركة متزايدة من الباحثين المسلمين العاملين في الجامعات الأوروبية والأمريكية والأسترالية.

وامتدادًا لهذا التقليد في الدراسات القرآنية، يقدم هذا المجلد للقارئ عرضًا ومقدمة للقرآن ودراسته، يتميز عن غالبية المصنفات المماثلة بسعيه نحو تقديم رؤية متوازنة تجمع بين التيارات البحثية الغربية المتنوعة والمتباينة وملامح الرؤى الإسلامية،

متناولًا القرآن بوصفه نصًّا يثير تساؤلات مستمرة لدى كلا الفريقين.

ويسلط هذا الكتاب الضوء على التقييمات المتباينة بين المؤمنين من المسلمين، الذين يرون في القرآن كلام الله، وغير المؤمنين. وينصرف الاهتمام إلى دراسة هذه التقييمات بغية فهم الدلالة التي يحملها القرآن الكريم في نظر الأمة الإسلامية، والتعريفات التي تقدمها هذه الأمة لإبراز تفرده وحقيقته. ويمثل كتاب «الإتقان في علوم القرآن» لجلال الدين السيوطي (ت. 1505م) مرجعًا رئيسًا في هذا الصدد. ويمثل هذا المصنف الجامع في علوم القرآن مرجعًا رئيسًا يستند إليه الكتاب في مواضع كثير، مما يتيح للقارئ فهمًا أعمق مقارنة بالإحالات المتشعبة إلى مصنفات التفسير الإسلامية التي لا حصر لها. وتتواتر بالضرورة الإشارات إلى الدراسات الخارجة عن الإطار الديني والدراسات الغربية التي تصحب القارئ وترشده خلال المسائل الإشكالية القائمة في البحث القرآني إبان هذه السنوات، مقدمةً مجموعة كبيرة من وجهات النظر التي تتراوح بين دراسات دينية أو متعاطفة إلى دراسات أكثر تشكيكًا وتنقيحية، في استقطاب يتسم، في أحيان كثيرة، بالجمود.

ويشتمل هذا المصنف على نصوص من القرآن تمثل مرجعًا سريعًا للموضوعات قيد البحث. وفي هذه الأجزاء من الكتاب، يُستشهد بالقرآن وفقًا لترجمة آلان جونز (*The Qur'ān*, [Cambridge]: Gibb Memorial Trust, 2007). وقد استدعت بعض النصوص المستشهد بها إدخال تعديلات على الترجمة، وهو ما حرصت على تقليله قدر الإمكان؛ إذ ينبغي، في تقديري، إيلاء الأولوية لاتساق الترجمة الكاملة للقرآن على ما قد يُقترح من خيارات لمقاطع بعينها. وللتمييز بين صيغتي المفرد والجمع للمخاطب في ترجمته الإنجليزية، يضيف جونز حرفي "s" أو "p" مرتفعين إلى ضمائر المخاطب وأفعاله مثل yous; yourp, recites، إلخ؛ انظر (Jones, *The Qur'ān*, pp. 21–22). وتيسيرًا على القارئ، استُبعدت هذه العلامات الإضافية من النصوص المقتبسة في هذا الكتاب.

لا تمثل قائمة المصادر والمراجع في نهاية هذا المجلد سوى مختارات محدودة من بين عدد لا حصر له من الدراسات القرآنية التي صدرت ولا تزال تتوالى. ويمكن الرجوع إلى قوائم مراجع أوفى وأشمل عن موضوعات متنوعة ضمن عدد من المصنفات

الأكثر تفصيلًا وتوسعًا، من أبرزها المجلدات الستة من *Encyclopaedia of the Qur'ān* التي أشرفتْ على تحريرها جين دامن مكوليف (Jane Dammen McAuliffe) (Leid-en: Brill, 2001–2006)، أو الإصدارات الأكثر شمولية من الكتب المرجعية والأدلة القرآنية التي ظهرت في السنوات الأخيرة (*The Blackwell Companion to the Qur'ān*, edited by An- drew Rippin, Malden, MA–Oxford: Wiley-Blackwell, 2006, 20172; *The Cambridge Companion to the Qur'ān*, edited by Jane D. McAuliffe, Cambridge: Cambridge University Press, 2006؛ وصدر حديثًا *The Oxford Handbook of Qur'anic Studies*, edited by Mustafa Shah and Muhammad Abdel Haleem, Oxford: Oxford University Press, 2020, and *The Routledge Companion to the Qur'an*, edited by George Archer, Maria M. Dakake, and Daniel A. Madigan, London–New York: Routledge, 2022).

ولا مناص من الحديث عن نشأة هذا الكتاب وقصته؛ إذ كان في الأصل مشروعًا لمقدمة موجزة عن القرآن، ثم تطور ليتخذ مسارًا مغايرًا. وقد صدرت الطبعة الإيطالية الأولى ضمن السلسلة التاريخية لمعهد الشرق كارلو ألفونسو ناللينو Istituto per l'Oriente Carlo Alfonso Nallino. واكتمل الجمع الأولي للمادة العلمية ومسودتها خلال عامي 2016-2017 إبان عضويتي في معهد الدراسات المتقدمة في برينستون Institute for Advanced Study of Princeton، ثم في المعهد ذاته باحثًا زائرًا في صيف 2019، وفي كلية الاتحاد العبري Hebrew Union College بجامعة جنوب كاليفورنيا في لوس أنجلوس في ربيع 2019. وقد أنجزت هاتين المرحلتين البحثيتين المثمرتين الأخيرتين في إطار مشروع ERC-Synergy 810141 EuQu "The Europe-an Qur'an"، الذي انطلق في أبريل من العام نفسه. وكان للحاجة إلى دراسة جوانب متعددة من تاريخ القرآن لهذا المشروع الأوروبي دور كبير في توجيه خياراتي نحو الصورة النهائية لهذه الدراسة.

وفيما يخص النسخة الإيطالية الأصلية (*Leggere e studiare il Corano: una guida*, Roma: Istituto per l'Oriente C. A. Nallino, 2021)، فأتقدم بالشكر

الجزيل لرئيس معهد الشرق كارلو ألفونسو نالينو، السيد كلاوديو لو جاكونو Claudio Lo Jacono، على إتاحة فرصة نشر هذا الكتاب، في أعقاب الكتاب التمهيدي عن الإسلام الذي صدر ضمن السلسلة التعليمية قبل وقتٍ قصيرٍ (*Introduzione all' Islam*, Roma: Istituto per l'Oriente C. A. Nallino-Aseq, 2018; engl. ed.: *Islam: an Advanced Introduction*, London-New York: Routledge, 2021)

وأشكره كذلك على تفضله بقراءة المسودتين الأولى والمنقحة، وما قدمه من اقتراحات دائمة، ونظرته الثاقبة في شتى الجوانب. ولا يفوتني أن أعرب عن امتناني للعديد من الزملاء والأصدقاء الذين تكرموا بتقديم ملاحظات ونصائح جنبتني الوقوع في الأخطاء، واقترحوا تعديلات أسهمت في تجويد هذا النص. أتوجه إليهم جميعًا بخالص الشكر والتقدير، مع تحملي وحدي، كالمعتاد، مسؤولية ما قد يتبقى من هنات. والشكر موصول، في المقام الأول، لزوجتي فرانشيسكا بيلينو، التي تتحمل -وآمل أن يستمر ذلك مدى الحياة- عبء قراءة كل ما أكتبه، وتقديم اقتراحات تتسم دائمًا بالفائدة والقيمة. وأشكر كذلك كل من جيوفاني كانوفا، وألبا فيديلي، وفرانشيسكو ألفونسو ليتشيزي، وجيوفاني ماريا مارتيني، وأنتونيلا سترافاتشي، وإيدا زيليو-غراندي لما أبدوه من صبر وقدموه من مساعدات قيمة.

تمثل هذه الطبعة الإنجليزية ترجمة منقحة لكتاب *Leggere e studiare il Corano: una guida*. وأتوجه بالشكر والامتنان في هذه الترجمة الإنجليزية إلى أنجيلا بيتاسي، التي تولت ترجمة الكتاب، وشاركتني بصبرٍ وسخاءٍ مناقشة المقاطع وما اكتنفها من إشكالات. وقد أثرى هذا العمل ما قدمه جيوفاني ماريا مارتيني من نصائح ومراجعات دقيقة؛ إذ أسهم في العمل وتولى الإشراف على النسخة النهائية المقدمة للناشر. ولا يفوتني أن أشكرَ الأصدقاء الذين طالعوا النسخة الإنجليزية واقترحوا مراجعات إضافية: مايكل بريجيل، وليد صالح، وعلى وجه الخصوص، ديفين ج. ستيوارت، الذي قدم العديد من المقترحات القيمة لتحسين النص.